

# مناوغي

## آث عباس... القاعة المنسية (3/3)



بـقـلم: محمد أزوقلي فـراد

وإذا كان الكاتب الفرنسي ألبير كامو المولود في الجزائر، قد اختار أمه فرنسا عندما اضطر إلى اتخاذ موقف واضح من الثورة الجزائرية، فإن جان الموهوب عمروش قد اختار أمه الجزائر في نفس الظرف.

ويعد جان الموهوب عمروش كاتباً كبيراً وباللغة الفرنسية، تعاطى الشعر والنقد والكتابة الصحفية، كما ساهم في إنقاذ جزء من الشعر الأمازيغي الذي نهله من أمته، من خلال كتابه الشهير أغاني بربرية من القبائل الزناتية، الصادر سنة 1939م، سجل فيه الكثير من المنداح الدينية الإسلامية، وشامت الأقدار أن يفارق الحياة يوم 16 أفريل سنة 1962م قبل أن يرى نور الاستقلال.

### مالك واري (1916-2001)

ولد مالك واري في إغيل يوم 27 جاتفي 1916، درس المرحلة الابتدائية في قزرتة، ثم واصل تعليمه الثانوي بمدينة الزيتونة، وتحصل على شهادة الألفية. وفي سنة 1948م أرسله والده إلى مصر، فانتسب كلية الآداب بجامعة القاهرة، ومنها حصل على شهادة الليسانس في الفلسفة بدرجة ممتاز، وقد تأثر هناك في الكلية أيضا بتأثر الأستاديين: د.عبد الواحد وافي، ودرعثان أمين. وساهم بعد الاستقلال في بناء الدولة الجزائرية، فتولى عدة وظائف سامية، كمنصب وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية (1970-1979)، وترك عدة مؤلفات، طبع منها: إثنية وأصالة، أسالية أم انفصالية، شخصية الجزائر الدولية وهيبته العالمية، ردود الفعل الأولية داخل وخارجها على غرة نوفمبر، انتقل إلى رحمة الله يوم 27 أوت 1992م، ودفن بمقبرة العالية بمدينة الجزائر.

### جان الموهوب عمروش

جسدت عائلة بلقاسم عمروش حياة المشرق الفتي، جازا اعتناقه للمسيحية في ظروف اجتماعية صعبة، استغلها المبشرون الفرنسيون في القرن التاسع عشر لنشر المسيحية. لذا فقد كان جان الموهوب عمروش المولود في إغيل على سنة 1906م، يحمل في دواخله الشكافة الإسلامية المتجددة في ربوع بلاد القبائل، واليقينة المسيحية التي رضعها من والده المتشربين غصبا عنها، في ظروف صعبة كما سبق الذكر، لذا عبر عن هذا التمزق الهوياتي الناجم عن الاستعمار الفرنسي بقوله:

«أنا، جان، وأنا الموهوب، كلاهما يعيش في شخص واحد، لكليهما متفاران، وبين الاثنين مسافة غرة وقابله الختراق».

ورغم اندماجه الكسلي في المجتمع الفرنسي، فقد تملكه نزوع قوي نحو وطنه الجزائر، جعله يفسد مكانته المهنية المرموقة في الإعلام الفرنسي.

أُنجبت منطقة آث عباس رجال إصلاح، ومتقنين كثيرين ساهموا في بناء صرح الثقافة الجزائرية بإبداعها الإسلامية والعربية والأمازيغية. وأُنجبت أيضا كتابا ملكوا ناصية اللغة الفرنسية، وشكوا نخبة مفرسة ذات عقيدة مسيحية، وهي وليدة ظروف تاريخية معروفة، ألا وهي الظاهرة الاستعمارية، التي لم تتوان عن توظيف التنصير المسيحي من أجل مسخ الهوية الجزائرية الإسلامية، وتحويل الجزائريين إلى فرنسيين لغة وعقيدة.

### الشيخ الطيب أوشتير

ينتمي الشيخ الطيب أوشتير إلى قرية بوجليلة، وقد عاش ما بين (1871-1945)، أخذ تعليمه الأولي -كما جرت العادة- على يد والده، ثم أرسله إلى زوايا المنطقة لمزاولة تعليمه، كزوايا سيدي أسعيد إمسيس قرب صدوق، وزوايا عبد الرحمن البيولي، ومن أشهر المشايخ الذين نهل من علمهم الفرزير الشيخ محمد أولقاسم البوجليلي، ومحمد وعصارة الزوايا في (1842-1921). وبعد تخرجه قضى عمره في التعليم فدرّس عدة زوايا، كزوايا عبد الرحمن البيولي التي تعلم فيها، وزوايا سيدي الحاج أحساين بسمون، التي قضى فيها مدة طويلة (13 سنة على فترات متقطعة). ومن مواقفه الوطنية الحديدة بالذكر، أنه رفض الوظيفة التي عرضتها عليه الإدارة الفرنسية (12).

### الشيخ الصادق عيسات

يعد الشيخ الصادق عيسات من أعلام التعليم العربي، الذي كانت تشرف عليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وهو من مواليد 1908 بقرية بوجليلة عرش آث عباس. وبعد أن أخذ تحصيله العلمي الأولي عن والده الشيخ الحسين، انتقل إلى زاوية سيدي الموفق، فحفظ القرآن، ودرس العلوم الشرعية، ثم انتقل إلى الجامع الأخضر بشنطينة سنة 1933م، ونهل من دروس عبد الحميد بن باديس لمدة ثلاث سنوات. وبعد عودته عاد إلى زاوية سيدي الموفق فتولى مشيخته لبعض الوقت، ثم انضم إلى التعليم الحر في مدارس جمعية العلماء، فدرّس في مدرسة تازمالت، لينتقل بعدها إلى مدرسة بوجليلة، ومنها إلى مدرسة إغيل علي، وعندما اندلعت الثورة التحريرية كلفته قيادة الثورة بهمة الإلقاء والقضاء. وتوفي سنة 1969م.

### مولود قاسم ناث بلقاسم

مولود قاسم ناث بلقاسم، اسم أشهر من نان على علم، صنع لنفسه عمرا ثانيا بفضل وطنيته المتأججة، وعلمه الفرزير، وقضايته الموسوعية، وزرع وقته في شيا به بين طلب العلم، وتعاطي السياسة في صفوف حزب الشعب الجزائري لتحرير وطنه.

ولد في قرية لمعالي (بلدية إغيل علي) سنة 1927م، فتتمتذ في صباه في المدرسة

وعليه يمكن اعتبار هؤلاء الكتاب الكبار بمثابة ضحايا الاستعمار، لأنهم لم يخاتروا المسيحية عن طواعية، بل فرضت على ألبانهم عندما قنعتهم مراكز التنصير وهم في سن الطفولة المبكرة في ظروف اجتماعية صعبة، مثلما أكدت الباحثة الفيدرية كريمة ديراش سليمان، في كتاب لها حول مسيحية بلاد القبائل (1874-1954) (11). وقد عاش هؤلاء الكتاب المتنصرين من التمزق الهوياتي طيلة حياتهم، باعتبارهم رموزا شادة، في محيط أمازيغي، اللسان، إسلامي العقيدة، لذا لم تمنعهم عقيدتهم المسيحية واللغة الفرنسية -أداة إبداعهم- من احتضان ثقافتهم الجزائرية الأصلية، وبذل الجهود لإنقاذ الموروث الثقافي الأمازيغي.

ومراعاة للاعتبارات السالفة الذكر، فإنه من الحكمة أن نغدر جهود هؤلاء الكتاب (جان الموهوب عمروش/طواس عروش/ محمد واري)، وأن نلتفت إلى إبداعهم بعين الرضا، باعتبارها حاضنة للشكافة الجزائرية، على غرار كتابات مولود فرعون، ومولود عمري، محمد ديب، ومالك حداد وغيرهم، وهذه بعض الأسماء التي برزت في مجال التعليم العربي، في الزوايا والمدارس من الحرة فترة الاحتلال الفرنسي، بالإضافة إلى ذكر أهم رموز التنخبة الفرنسية في عرش آث عباس.

### الشيخ محمد أولقاسم البوجليلي

هاجرت عائلة شيخ محمد أولقاسم عرش آث ورفيلان، إلى قرية بوجليلة بعرض آث عباس، وفتح هناك جده الأول كتابا لتعليم القرآن، ثم قبض له أن يتحول إلى زاوية تعليمية في عهد الشيخ مُتحد أولقاسم الذي سملع نور في حقل المعرفة. ولد الشيخ محمد أولقاسم سنة 1828، أي قبل دخول الفرنسيين إلى الجزائر بسنتين، أما وفاته فكانت سنة 1896، ودفن في صحن مسجد قرية بوجليلة ولا يزال قبره معروفًا إلى اليوم، جمع بين وظيفة التدريس وقيادة الطريقة الصوفية بعد وفاة الشيخ محمد أمزيان الحداد الذي عينه خليفة له، وترك الشيخ محمد أولقاسم عدة مخطوطات، أشهرها كتاب "التبصرة" وهو بمثابة التاريخ للدراسة الزواوية في علم القراءات (زاوية لعبد الرحمن البيولي).

لكن بطريقة رمزية. هذا وتجدر الإشارة إلى العمل العلمي الجيد الذي أنجزته الباحثة جوهرة أمهيس-أكسيل، والمتمثل في قراءتها لهذه الرواية قرارة تحليلية أوضحت فيها الخلفية الثقافية التي تزخر بها (13). ومن مؤلفاته الأخرى كتاب بعنوان: شعر وأغان من القبائل (1972) Chants de Kabylie وPoèmes، ثم أعقبه روايتين: جبل الذئاب (2000) La montagne au Chacals ولباس القبائل لباية Baya kabyle وRobe (2001). توفي مالك واري في فرنسا يوم 21 ديسمبر 2001 في صحت، دون أن يلتفت إلى أحد، ولا شك أنه يستحق التقانة المثقفين - على الأقل - بالنظر إلى سمو أعماله الأدبية في مجال الأدب وصيانة التراث الأمازيغي الشفوي.

هذا ولم تعثر منطقة آث عباس في الوقت الراهن، فهناك أسماء فاعلة في الساحة الثقافية، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، الكاتب والصحفي عبد الكريم جعاد مؤسس جريدة المسار المغربي في طبعته الأولى، وصاحب رواية: ذاكرة العاصيفير (1989)، والباحث في التراث الأمازيغي كمال نايت، زرار، مؤلف قاموس الأسماء الأمازيغية. Pnémons Dictionnaire des والخاصة أن هذه المنطقة التي تملك هذا التراث الثقافي الكبير، تستحق التقانة السويوليين، لدراسة إمكانية تنمين حيز الثورة الثقافية، التي يمكن أن تصبح مصدر دخل في سياق السياحة الثقافية، التي سيكون لها شأن في جزائر ما بعد البترول.

- الوفاة
- 1- Jean Marizot, L'Algérie Kabylisee, Editions at-tahy-aljahidhiya, Alger, 2001, P.60.
  - 2- Eugène Daumas, M'urs et Coutumes de L'Algérie, Editions Aena, Alger, 2006, P.128.
  - 3- هانريش فون ماتسنان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، ص. 159، الجزائر، 1979.
  - 4- Laurent-Charles Féraud, Histoire de Bougie, Editions bouchene, P. 161.
  - 5- محمد الحسن ففلا، المسيرة الراجعة للتعليم العربي بالجزائر، ج.1، دار الأمل، الجزائر، 1999، ص 239.
  - 6- محمد الحسن ففلا، العدد 164، الصادر بتاريخ 10 أيار 1939.
  - 7- Karima Direch, Chrétiens de Kabylie (1873-1954), Editions Bouchene, France, 2004, P. 28.
  - 8- محمد الصالح الصديق، أعلام من منطقة القبائل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 41.
  - 9- Djohar Amhis- Oukel, Le pris de l'honneur, une lecture de " Le grain dans la Meule" de Malek Ouary, Cashab Editions, Alger, 2007.

Ferradrezki@yahoo.fr

## لن يحزّر فلسطيني الفاسدون ولا فراغنة مصر



بـقـلم: أنور مالك

### الهاجعة الثانية

أساطيل أخرى ربما تكون محمية ببورج المسكر التركي مما يفتح الباب على حرب مفتوحة الطرف فيها هي أنقرة، كما أراد النظام المصري أن يمتص الغضب الدولي العامر على الكيان المحتل.

فاعلان فتح معبر رفح إعلاميا وفي الواقع معاناة كبيرة لا يمكن تخيلها، وقد قيل أنه سيبقى "متوحا" إلى إشعار آخر وأكيد سيأتي هذا الإشعار من حكومة نتنياهو في الوقت المناسب التي تكون إسرائيل قد استطاعت أن تخرج من المأزق الإنساني والحقوقى الدولي التي تورطت فيه، ولكن حكماها يتقنن القفز على الجثث المتحجرة وسيقصدون على تجاوز هذا البركان ويدعم الأمريكي ومصري فضحود المعارضة بدورها تسترقي بالقبضه وتريد أن تجعل منها قميص عثمان الذي تدنن به الأنظمة، بالرغم من أن الشارع يحفل بما يعجز بقطر رؤوس الحكام في مقصلة شعبية، ولكن بسبب نقص الخبرات ومحدودية الرؤى وتوكل الأمر لغير أهل حقل من المعارضات التي نجدها في الغرب تصنع الدلائل وتخز على التمييز وتجنر الحكام على الاستجابة لنهض الشارع، إلى مجرد ترويح يظهر في المهرجانات عندما يمارسون استقبال المعني الفلاني لأنه شاذ أو أن الرافضة الفلانية مثير للفضح والبسطة فاضحة كأنهم يريدون من هيفاه وهي أن ترفض وتفتن للدعارة وهي منقبة وتتلو الذكر الحكيم، بالرغم من أن أقلهم يتلذذون بجسداه في جساتهم الخفية وفي مكاتبهم عبر الشبكة العنكبوتية أو من خلال التحرش بعاملات معهم، كما نجد هذا العبث المعارضاتي يظهر في

ما يحدث في الغرب يندى له الجبين، حتى أعطي الكثير من الفلسطينيين والعرب عموما نموذج سياسي، لسمعة قبضتهم العادلة، في حين نجد اليهود يشكلون لوبيات لصالحهم وتخدم النصب الغربية وتسهر على كثير من المراقق العمومية والمالية التي تجعلهم يكسبون وهم ولئيم، لأنه لا يعقل أن يتضامن المواطن العربي مع عربي يراه لا هم له إلا الأضرار بالآخرين عن طريق نهب أموالهم والترصد لاجتياهم بالسوء، ضد يهودي يراه ويستمر أماله في شراك عملاقة ومشاريع ضخمة تؤمن لقمة عيش الآلاف، بل ينشطون في المساعدات والتضامن الاجتماعي بما يحسب الناس فيهم ويجعلهم يقدمون لحلمهم التوراتي كل الدعم والمساندة.

الحكام العرب أنفسهم جعلوا من هذه القضية ملاءة للشعوب فالحاكم العربي وخاصة من دول ما يسمى بالاعتدال والتطبيع وعلى رأسهم نظام سوزان وحسن مبارك، كلما أحسوا بأزمة تهدد عرشهم إلا وسارعوا بهاتف عاجل إلى تل أبيب من أجل إنقاذهم، وطبعاً كانوا يترصدون ويعاجلوا بمجرد أنه الموت نحو غزة أو يعمل تخريبي يسمال المسجد الأقصى، وهذا الذي يلعب عليه عن مشاكله الداخلية ويفضل الضمانات التي أدمنوا عليها وهي تقل لنا متعديا مشاعرنا صور الموت والقصف والإبادة والجثث الممتحة، من دون يعني لأهدافها الهضام وراه وراء هذا الانتفاخ والانتشار، حينها يحول الشعب بوسلته التي كانت تتجه لحكومة بلاده الفاسدة لتعبر إسرائيل حامية ظهور الحكام يمثل هذه الأمور التي يدفع الثمن فيها إلا الأبطال والأبرياء، ولكن مادام الرضاء يذبحون شعوبهم من أجل كراسيهم فلا ضير أبدا أن يبيدوا شعب غزة والغربي، عنهم لأجل مطامعهم ومصالحهم، وهو الذي نراه واضحا للعيان من مصر "الظلمية" التي تلق العماير وتشيد الجدران الفولاذية وتتأمر على قرية "صغيرة" اسمها غزة.

المصرف الذي لا يمكن تجاوزه أن هذا الحكم يلبأ أحيانا لحماية الكيان الصهيوني بطريقة مشوهة للغاية، وأقرب دليل هو فتح معبر رفح من طرف نظام مبارك بعد الاعتراف على أسطول الحرية، في المياه الدولية للبحر المتوسط والذي وضع إسرائيل على المنح لسد تداعياته قريبا سواء في المشهد السياسي الداخلي أو حتى الخارجي، فمل ذلك غصبا عنه من أجل أن يفوت فرصة

الاحتلال، واستقلّ الجزائريون النشامى الذين لا يوجد على أرضهم مقدس منها ميثا المسجد الأقصى أو كنيسة المهدي ولا كانوا يعولون على الآخرين لتحريرهم ولا أجهض مشروعاتهم بأسلحة فاسدة قدمت من نظام جمال عبدالناصر، بل انغلقت الثورة عندما تحولت إلى قناعة شعبية وإجماع فلن نظيره، وصار الوطن هو الشرف المقدس يحرم على أي كان تجاوزه ولو في كوابيس الأحلام.

إن التعلّم من تجارب الآخرين مهم وتجاهل تلك النماذج الناجحة وتحت أي مسمى هو من أضعف ما يتركبه الفلسطيني والعرب في حق أنفسهم قبل غيرهم.

أقولها بصراحة ومن دون مقدمات أن الوطن يحمره شعبه ولا يمكن أن يتسود التحرير عن طريق الأضمار الصناعية أو عبر الأنفاق أو بالتعويل على جوار مخادع وخائن ومتآمر أو بالاستنجام على منتجات شرم الشيخ ولا المقاومة تززع عن طريق المصلح في مستشفيات عسكرية، الاستقلال يأتي من داخل يجعل الجميع يلتف حوله إن وجدوا الحساس والإيمان والأمانة والنضال والعفة والطهارة والصدق والفضولة والكبرياء والعدالة والثقة كما كان الأمر في الثورة الجزائرية، أما إن كان أصحاب الشأن يتاجرون بشأن وطنهم ويتناحرون فيما بينهم ويتوزون غيرهم فلا تنتظر من الغرياء أن يهبوا لتجده حتى وإن كان عرفهم واحد، فالحدود التي صنعها المستعمر وفرضها علينا جعلت أجيالنا من الصعب أن نخز على هذه المعادلة الختمية والقدرية... فأخشى ما أتخاف أن يصير الفلسطينيون عالة على شعوب العربية والإسلامية أيضا كما هو الشأن لدى الأنظمة الرسمية، حينها نقرأ فاتحة الكتاب على كل ما بذله الشرفاء عبر قرون من الكفاح والنضال، برغم العراة التي علقت بقلبي وأنا أعرض في أعماق هذه المسألة الإنسانية إلا أنني مضطر أن أختتم حديثي الذي لن ينهي، قائلا:

لنصصايب أوم في مستواها روحا وعقلا وجسدا، وبلاوطن شعب تحمينا وتبناضلت لتحريرها، وللمقدسات، أيضا فثبات قلبك أو كذرت تؤمن بها وتعمل كل ما يليق لأجل تطهيرها من الدنس، ولا يمكن أبدا أن يطهر الدنس بالنجس، كما أنه لا يمكن أن نعمل على الطير الأبايل لتقتنا ولا دائما للكعبة رب يجمعها...

انتهى

anouarmalek@gmail.com